حمامة صيد

بعد ممارستي لرياضتي اليومية، رياضة المشي، شعرت ببعض الدفء كنتيجة طبيعية للمجهود الذي قمت به، خفت أن يتسرب الدفء من جسدي في هذا اليوم البارد، فلقد تغلبت البرودة على ضوء الشمس الدافئ، شعرت برغبة في تناول كوب من الشاي الساخن، لعله يعادل برودة الجو الشديدة فيغمرني الدفء فترة أطول.

كان بعض أعضاء النادي يمارسون رياضة أخرى، رياضة الصيد، يصوبون بنادقهم في السماء ويطلقون أعيرة نارية لإصابة هدف متحرك، فيتساقط الحمام، وسقوط الحمام معناه إصابة الهدف، ولكن لابد أن يسقط الهدف في حدود دائرة معينة حتى يحسب نقطة قيمة للرامي ونصراً له. شعرت بالألم، كنت أرى فتحة صغيرة في الأرض يخرج منها الحمام الواحدة تلو الأخرى، ويحاول جاهداً الفرار من الطلقات النارية إلى الحرية، لكن الطلقات ماهرة مثل الموت، نادراً ما تخطئ الهدف.

كنت أرى الحمام يخرج من الفتحة الأرضية مذعوراً، وكأنه يشعر

أنهـا رحلـته الأخـيرة، أصـابني المنظـر الذي تأملته جيداً للمرة الأولى بشـيء مـن الانـزعاج، همسـت لعقلـي: هـل لابـد مـن الـتجارب والضحايا حتى تمنحنا الحياة الخبرة ؟!

نجحـت حمامـة بيضـاء في أن تطـير مسـافة أكـبر، وأن تعبر نطاق المـوت، لمحـتها تبتعد وتختفي، تمكن الضيق مني، غادرت المكان دون أن أنتهي من شرب الشاي، شعرت أنه لا يمنحني الدفء المطلوب.

قـررت أن استكمل رياضتي، فلقد كانت رياضة المشي تساعدني كـثيراً علـى اسـتعادة نفسـي، بـدأت أتأمـل الأشجار من حولي حتى يغادرنـي الضـيق الـذي أشـعر به، فمنظر الأشجار الخضراء يبعث في نفسـي ارتياحاً شديداً، في طريقي لمحت حمامة بيضاء ميتة يلتف حولها مجمـوعة مـن الغـربان السـوداء، لابـد أنهـا الحمامـة التي تمكنت من الهـروب، الرصـاص أصـابها، قاومـت، قطعت مسافة أكبر، ماتت بعـيداً دون أن تمـنح قاتلها أي نقطة تحسب له، قتلها الرصاص فتمكن الغربان منها، كانوا في الانتظار.

أغمضت عيني، كان مشهداً لا أرغب في رؤيته، أكره الموت كما أكره الرحيل تماماً، كلاهما فراق.

هجرنـي زوجـي لامـرأة أخـرى، أصابني رحيله بألم شديد، لم يفكـر في مشـاعري لحظـة واحـدة، لم يقـل ـ حتـى ـ وداعـاً، بكيت وحيدة.

هاجـر وحـيدي مـع زوجـته إلى أوروبـا، لا يفكـر في العـودة، يراسـلني، لكـنه يكـتب دائماً في نهاية الرسالة، وداعاً، لم أقرأ سوى الـوداع، لم يكـتب إلى اللقـاء، أعرف جيداً أنه لن يعود، أشتاق إليه كثيراً، ولكن الشوق لا يصل إليه.

حـين رأيـت الحمامة البيضاء تهرب، فرحت من أجلها، شعرت بأنهـا قـد تعثـر علـى بدايـة أخرى، وحين لمحتها ميتة أدركت أنها لم تبـتعد كـثيراً عما هو مقدر لها، لم تعرف طعم الحرية طويلاً، عاشت وماتـت حمامـة صـيد، أنـا مـثلها، سـأموت وحيدة بعيداً عن قاتلي، لكنني لن أكون أبداً ضحية ينتظر الغربان سقوطها.

بدأت أتأمل الأشجار من جديد، إنها الأشجار نفسها، تغيب ثم تظهـر مـرة أخـرى بالمعالم نفسها، لا شيء يتغير، كل الأشياء تتكرر خلال سيري في " التراك " الدائري.

شـعرت بالـبرودة، فقررت أن أتناول كوباً من الشاي، ولكن في مكان آخر.